أبناء الله

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: رومية ٩.

آية الحفظ: «فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ» (رومية ٩: ١٨).

«كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ. ... لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ» (رومية ٩: ١٣، ١٥).

عَمّ يتكلّم بولس هنا؟ ماذا عن حريّة الاختيار المعطاة للإنسان، والتي بدونها لا معنى لما نؤمن به؟ أليس لنا الحريّة أن نختار أو نرفض الله؟ هل هذه الآيات تعلّم بأنّ أناساً معيّنين هم مختارون ليخلصوا وآخرون لكي يهلكوا بغضّ النظر عن اختياراتهم؟

فالجواب موجود كالعادة، عندما ننظر إلى ما يقوله بولس. إنّ بولس يواصل سلسلة نقاشات يسعى من خلالها أن يبيِّن حقّ الله في انتقاء مَن يريد أن يستخدمهم كمختاريه. فالله، قبل كلّ شيء هو مَن يحمل المسئولية الكبرى المتعلقة بالكرازة إلى العالم. لذلك، فلماذا لا يستطيع أن يختار عمَّالاً له كما يرغب؟ فطالما أنّ الله لا يحرم أحداً من فرصة الخلاص، فإن قيامه باختيار الفعلة الذين يقومون بهذا العمل الكرازي لا يتعارض مع مبادئ الإرادة الحّرة. والأهم من ذلك أنه لا يتعارض مع الحقيقة المسلم بها أزلياً بأن المسيح قد مات لأجل جميع البشر، وبأنه يتوق إلى خلاص الجميع.

ولطالما نتذكر بأنّ رومية ٩ لا يتعامل مع خلاص أولئك الذين يتناول سرد أسمائهم، بل يتعامل مع دعوتهم لأداء مهمّة خاصّة. لذا، فإنه ليس من صعوبة في هذا الأصحاح.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٩ كانون الأول (ديسمبر).

عبء بولس

«وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خروج ١٩: ٦).

كان الله يحتاج إلى شعب يكرز بالكلمة لعالم قد انغمس في الوثنية والظلام وعبادة الأوثان. فاختار بني إسرائيل وأعلن ذاته لهم. وخطّط بأن يكونوا أمّة نموذجيّة حتى يجذبوا الآخرين إلى الله الحقيقي. لقد كان قصد الله بإعلان صفاته من خلال بني إسرائيل أنّ العالم يتقرّب إليه، ومن خلال نظام تقديم الذبائح يرتفع اسم المسيح بين الأمم، وكلّ مَن ينظر إليه يحيا. وكان كلما ازداد عددهم ازدادت بركاتهم أيضاً، فكان عليهم أن يوسّعوا تخومهم حتى تحتضن مملكتهم كلّ العالم.

اقرأ رومية ٩: ١- ١٢. ما النقطة التي يركّز عليها بولس عن أمانة الله وسط فشل البشر؟

كان بولس الرسول يتابع سلسلة من الجدال يبيّن من خلالها أن وعد الله لإسرائيل لم يسقط نهائياً. فهناك بقية أمينة يعمل الله من خلالها. ولكي يوطّد الرسول فكرة البقية الباقية، يغوص عميقاً في التاريخ الإسرائيلي ويظهر أنّ الله كان دائماً ينتقي ويختار: (١) الله لم يختر كلّ نسل إبراهيم ليكونوا في عهد معه، بل فقط نسل إسحق. (٢) ولم يختر كل نسل أسحق، بل فقط نسل يعقوب.

إنّ من المهمّ أيضاً أن نرى بأنّ الإرث، أو السلالة لا تضمن الخلاص. فمن الممكن أن تكون من السلالة الصحيحة، ومن العائلة الصحيحة، أو حتّى من الكنيسة الحقيقيّة الصحيحة ومع ذلك تهلك، وتكون خارج الوعد الإلهي. إنّ الإيمان، والإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ، هو الذي يُظْهِر أولئك الذين هم «أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ» (رومية ٩: ٨).

انظر إلى العبارة في رومية ٩: ٦ «لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ.» ما هي الرسالة الهامّة التي يمكن أن نجدها لأنفسنا كأدفنتست سبتيين؟

مُختارون

«قِيلَ لَهَا إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ» (رومية ٩: ١٢، ١٣).

كما وَرَد في مقدّمة هذا الأسبوع، فإنه من المتعذّر أن نفهم رومية ٩ جيّداً إلاّ عندما نتأكد من أنّ بولس الرسول لا يتكلّم عن الخلاص الفردي. إنّه هنا يتكلّم عن أناسٍ معيّنين قد دعاهم الله كي يقوموا بمهام معيّنة. إنّ الله أراد أن يعقوب يَصبح السلف لشعبه الذي يستخدمه الله كوسيلة للكرازة في العالم. فلا توجد دلالة ضمنية هنا في هذه الفقرة تشير إلى أنّ عيسو يستعصي عليه الخلاص، فالله حتماً أراد لعيسو أن يخلص تماماً كما يريد خلاص كلّ البشر.

اقرأ رومية ٩: ١٤، ١٥. كيف نفهم هذه الكلمات في مضمون ما كّنا نقرأه؟

نكرّر بأنّ الرسول بولس لم يكن يتحدّث عن الخلاص الفردي، لأنّ الله يقدّم نعمته المُخلِّصة إلى الجميع. فهو «يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ» (١تيموثاوس ٢: ٤). «لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ» (تيطس ٢: ١١). لكن الله يستطيع أن يختار أمماً تلعب أدواراً، ومع أنّه بإمكانهم أنّ يرفضوا هذه الأدوار، فإنّهم لا يقوون على منع الله من أن ينتقي ويختار. وبغض النظر عن مدى جدّية محاولة عيسو في أن يكون السلف الذي من نسله يأتي المسيا، إلا أنه لم يستطع أن يكون السلف للمسيّا أو للشعب المختار.

في نهاية الأمر، لم يكن ذلك اختياراً تعسّفياً اتّخذه الله، أو مرسوماً إلهيّاً جرّد فيه عيسو من امتياز الخلاص. إن عطايا نعمة الله بالمسيح هي مجانيّة للجميع. لقد وقع علينا جميعاً الاختيار بأن نخلص لا أن نهلك. (أفسس ١: ٤، ٥؛ ٢بطرس ١: ١٠). إنّ اختياراتنا نحن وليس اختيارات الله هي التي تمعنا وتحرمنا من الحصول على الوعد بالحياة الأبدية في المسيح. لقد مات يسوع عن كل إنسان. ومع ذلك، فقد وضع الله في كلمته المقدّسة المتطلبات التي على أساسها يتم اختيار كل نفس لنيل الحياة الأبدية، وهذه المتطلبات هي الإيمان بيسوع المسيح، وهو الإيمان الذي يوجِّه الخاطئ المبرّر إلى الطاعة.

وكما لو أنّه لم يكن هناك شخصٌ آخر موجوداً، فأنت نفسك قد وقع عليك اختيار المسيح قبل تأسيس العالم. هذه هي الدعوة (الاختيار) التي أُعْطِيتَها مِن قِبَل الله بواسطة يسوع المسيح. يا له من امتياز! يا له من رجاء! ومع وضع كل الأشياء في الاعتبار، لماذا يعتبر كل شيء آخر أقل أهمية مقارنةً بهذا الوعد العظيم؟ لماذا سيكون من أفظع المآسي أن تدع الخطيّة والذات والجسد أن تسلب منك كل ما وُعِدتَ إياه في المسيح؟

الثلاثاء

٥ كانون الأول (ديسمبر)

الأسرار

«لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ» (إشعياء ٥٥: ٨، ٩).

اقرأ رومية ٩: ١٧- ٢٤. بناءً على ما قرأناه حتى الآن، كيف لنا أن نفهم النقطة التي يشير إليها بولس الرسول هنا؟

بالكيفيّة التي تعامل بها الله مع مصر أثناء خروج العبرانيين منها، بيّن أنّه كان يعمل على خلاص الجنس البشري. فإعلان الله عن ذاته بإنزال الضربات على مصر وتخليص شعبه، كان القصد منه أن يكون إعلاناً للمصريّين ولغيرهم من الأمم الأخرى، بأنّ إله إسرائيل حقاً كان هو الله الحقيقي. وكان المقصود لها أن تكون دعوة لشعوب الأمم للتخلّي عن آلهتهم والانخراط في عبادة الله.

وكان من الواضح أنّ فرعون قد اتّخذ قراره ضدّ الله، لذا فعندما قسّى الله قلب فرعون، فإنه لم يكن يحرمه من فرصة الخلاص. فإنَّ تقسّي قلب فرعون كان بسبب رفضه طلب إطلاق سراح بني إسرائيل، ولم يكن بسبب عدم رغبة الله في خلاص فرعون. فالمسيح مات لأجل فرعون كما لأجل موسى وهارون وبقيّة بني إسرائيل.

والنقطة الهامّة هي أنّنا كبشر مترديّن في الخطيّة، لنا نظرة ضيقة عن العالم، وعن الحقيقة، وعن الله وعمله في هذا العالم. فكيف نتوقع فهم كل طرق الله في حين أن العالم الطبيعي من حولنا، حيثما ذهبنا، يعج بأسرار لا نستطيع أن نفهمها؟ لم يقتنع الجرّاحون بوجوب غسل أيديهم قبل إجراء عمليّات جراحيّة إلاّ في المائة والواحد وسبعين سنة الأخيرة. وهذا يدلّ على مدى ما كنا غارقين فيه من جهل. ومَن يعلم، إن طال الزمان بنا، ما الأمور الأخرى التي سنكتشفها مستقبلاً وسيكون من شأنها

أن تكشف عن مدى ما نحن عليه من غرق في الجهل اليوم؟

بالتأكيد، نحن لا نفهم دائماً طرق الله، ولكنّ يسوع جاء ليعلن لنا عن طبيعة وصفات الله (يوحنا ١٤: ٩). لماذا إذاً، يكون من الضروري أن نفكّر ونتأمّل في صفات المسيح عندما نجد أنفسنا وسط هذه الأسرار والأحداث الغريبة؟ ماذا أعلن لنا المسيح عن صفات الله ومحبته لنا؟ كيف أن معرفتنا بالله تساعدنا أن نكون أمناء وسط هذه التجارب التي تبدو وكأن لا مبرّر لها، وغير عادلة؟

الأربعاء

٦ كانون الأول (ديسمبر)

عَمِّي: «شعبي»

في رومية ٩: ٢٥ يقتبس الرسول بولس هوشع ٢: ٢٣، وفي رومية ٩: ٢٦ يقتبس هوشع ١: ١٠. وخلفية هذه الآيات هي أن الله كان قد أعطى تعليماته إلى هوشع أن يتّخذ له «امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى» (هوشع ١: ٢)، كتوضيح تصويري لعلاقة الله بإسرائيل، لأنّ الأمّة قد ذهبت وراء آلهة غريبة، والأطفال المولودون من هذا الزواج أُعْطوا أسماء تدلّ على رفض وعقاب الله لإسرائيل الوثنية. ودُعي الطفل الثالث لُوعَمِّي (هوشع ١: ٩) وهو يعني حرفياً ليس شعبي.

ومع ذلك، وسط كل هذا، تنبأ هوشع بأنّه سيأتي اليوم، بعد معاقبة الله لشعبه، الذي فيه سيردّ اللهُ لهم البركات ويزيل آلهتهم المزّيفة ويصنع عهداً معهم. (انظر هوشع ٢: ١١- ١٩). وعندها، فإن أولئك الذين كانوا «لُوعَمِّي» أي ليسوا شعبي، يصبحون «عَمِّي» أي شعبي.

في أيام بولس الرسول، لم يكن اليهود فقط هم المعنيون بمُسَمَّى «عَمِّي»، ولكن الأمميون أيضاً (رومية ٩: ٢٤). ما أصفاه وما أقواه من تقديم وشرح للإنجيل الذي، من البداية، قُصِدَ بالكرازة به إلى كلّ العالم. ولا عجب أننّا نحن الأدفنتست نأخذ جزءاً من دعوتنا من رؤيا ١٤: ٦: «ثُمَّ رَأَيْتُ مَلاَكًا آخَرَ طَائِرًا فِي وَسَطِ السَّمَاءِ مَعَهُ بِشَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ، لِيُبَشِّرَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ وَكُلَّ أُمَّةٍ وَقَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ.» واليوم، كما كان في أيام بولس الرسول، وكما كان في أيام إسرائيل قديماً، ينبغي أن أخبار الخلاص السارّة تنتشر في كلّ أنحاء العالم.

اقرأ رومية ٩: ٢٥- ٢٩. لاحظ كم مرّة يقتبس بولس الرسول من العهد القديم ليوضح كل الأمور التي كانت تحدث في أيّامه. ما هي الرسالة المتضمّنة في هذه الفقرة؟ ما الرجاء المقدّم إلى قرّائه؟

فـي الحقيقـة إنّ بعضـاً مـن بنـي جنـس بولـس رفضـوا دعـوة الإنجيـل، وقـد سـببّوا لـه حُزْنـاً عَظِيمـاً وَوَجَعـاً فِـي قَلْبِـه لاَ يَنْقَطِـعُ. (رومية ٩: ٢). ولكـن علـى الأقـل كانـت هنـاك بقيـةٌ باقيـة. إن وعـود الله لا تسـقط حتـى لـو سـقط البشـر. الرجـاء الـذي يمكـن أن يكـون لنـا هـو أن وعـود الله سـوف تتـمّ وإنْ نحـن طالبنـا بهـذه الوعـود فلسـوف ننالهـا أيضـاً.

كـم مـرّةً خذلـك النـاس؟ وكـم مـرّةً خذلـت نفسـك والآخريـن؟ لربّمـا أكثـر مـن أن يمكنـك إحصـاءه، أليـس كذلـك؟ مـا الـدروس التـي نتعلّمهـا مـن هـذه السـقطات بخصـوص فيمَـن يجـب أن تضـع ثقتـك فيـه؟

الخميس

٧ كانون الأول (ديسمبر)

التَعثُّر

«فَمَـاذَا نَقُـولُ؟ إِنَّ الأُمَـمَ الَّذِيـنَ لَـمْ يَسْـعَوْا فِـي أَثَـرِ الْبِـرِّ أَدْرَكُـوا الْبِـرَّ، الْبِـرَّ الَّـذِي بِالإِيمَانِ. وَلكِـنَّ إِسْـرَائِيلَ، وَهُـوَ يَسْـعَى فِـي أَثَـرِ نَامُـوسِ الْبِـرِّ، لَـمْ يُـدْرِكْ نَامُـوسَ الْبِرِّ! لِمَـاذَا؟ لأَنَّـهُ فَعَـلَ ذلِـكَ لَيْـسَ بِالإِيمَانِ» (رومية ٩: ٣٠- ٣٢). ما الرسـالة المتضمنّة هنـا، والأهـمّ، كيـف يمكننـا أن نأخـذ هـذه الرسـالة التـي كُتبت فـي زمن ومـكان معيّن وأن نطبّـق المبـادئ الـواردة فيهـا علـى أنفسـنا اليـوم؟ كيف يمكننـا أن نتجنّـب ارتكاب ذات الأخطـاء اليـوم فـي محيطنـا كمـا فعـل بعـض الإسـرائيليين آنـذاك؟

بكلمـات لا يمكـن إسـاءة فهمهـا، يشـرح بولـس الرسـول لبنـي جنسـه لمـاذا لـم يحصلـوا علـى أمـر كان الله يرجـوه لهـم. والأكثـر مـن ذلـك، هـو أنـه كان أمـراً كانـوا هـم يسـعون إليـه ولا يحصلـون عليـه.

ومـن المثيـر للاهتمـام، أنّ الأمـم الذيـن قـد قبلهـم الله لـم يكونـوا يسـعون إلـى مثـل هـذا القبـول. بـل كانـوا يسـعون إلـى تحقيـق اهتماماتهـم الشـخصيّة وأهدافهـم عندمـا أتـت إليهـم رسـالة الإنجيـل. ولمّـا تحقّقـوا مـن قيمتهـا قبلوهـا، فأعلنهـم الله أبـراراً لأنّهـم قبلـوا يسـوع المسـيح كبديـل عنهـم. إنّـه كان إقْـرَارُ إيمـان.

إنّ مشـكلة الإسـرائيليين كانـت أنّهـم تعثـروا فـي حجـرِ الصَدْمَـة (انظـر رومية ٩: ٣٣). إنَّ البعـضَ وليـس الـكلّ (أعمـال ٢: ٤١) رفضـوا أن يقبلـوا يسـوع الـذي مـن الناصـرة كمسـيّا مرسـل مـن الله. فهـو لـم يرتـقِ إلـى المسـتوى الـذي كانـوا يتوقعونـه فيـه، ومـن هنـا أداروا ظهورهـم لـه عندمـا أتـى.

وقبـل أن ينتهـي هـذا الأصحـاح، يقتبـس الرسـول بولـس مرجعـاً آخـر مـن العهـد القديـم:

«لِذلِكَ يُتَضَمَّنُ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ هنَذَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى» (رومية ٩: ٣٣). في هذه الفقرة، بيّن بولس الرسول ثانية أهميّة الإيمان الصادق في خطّة الخلاص. (انظر كذلك ١بطرس ٢: ٦- ٨). يسوع هو حَجَر صَدْمَةٍ؟ ومع هذا، فإن كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى؟ نعم، فيسوع هو صدمةٌ لكثيرين، ولكن لأولئك الذين يعرفونه ويحبوّنه، هو نوع آخر من الصخور، «صَخْرَةُ خَلاَصِي» (مزمور ٨٩: ٢٦).

هل وجدت مرّةً أنّ يسوع «حجر صدمة» أو «صخرة عثرة»؟ إن كنت قد وجدته كذلك، فكيف؟ بمعنى، ماذا كنت تفعل فأوصلك إلى هذه الحالة؟ وكيف خرجت منها؟ وماذا تعلّمت كي لا تجد نفسك مرّة ثانيةً في علاقة مضادة مع المسيح؟

الجمعة

٨ كانون الأول (ديسمبر)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة الفصل الذي بعنوان «المصلحون الأخرون في إنكلترا»، صفحة ٢٧٢- ٢٩٥، في كتاب الصراع العظيم.

«يوجد هناك اختيار للأشخاص وللشعوب، فالاختيار الوحيد الموجود في كلمة الله هو حيث يتم اختيار الإنسان للخلاص. لقد نظر كثيرون إلى النهاية معتقدين أنّهم قد اختيروا بكلّ تأكيد ليحظوا بالمجد السماوي؛ لكن ليس هذا هو الاختيار الذي يعلنه الكتاب المقدس. قد أُختير الإنسان لأن يسعى للخلاص بخوف ورعدة. لقد أُختير لأن يلبس دِرْعَ الإِيْمَانِ وأن يجاهد الجهاد الحسن بإيمانٍ. لقد أُختير لكي يستخدم الوسائل التي في متناول يديهِ ليحارب ضدّ كل شهوة غير مقدّسة، بينما يحاول الشيطان جاهداً أن يهلك الإنسان. لقد أُختير الإنسان كي يسهر للصلاة وأن يفتِّش كلمة الله وأن يتجنب الدخول في تجربة. لقد أُختير لأن يكون لديه إيمان باستمرار. وقد أُختير لأن يطيع كلّ كلمة تخرج من فم الله، كي لا يكون سامعاً فقط، بل سامعاً عاملاً بالكلمة. هذا هو اختيار الكتاب المقدس» (روح النبوة، شهادات إلى القساوسة وخدّام الإنجيل، صفحة ٤٥٣، ٤٥٤).

«لا يمكن لعقل إنسان محدود أن يدرك صفات الإله السرمدي غير المحدود أو أعماله. فنحن لا نستطيع بواسطة البحث والاستقصاء أن نكتشف الله. فالبنسبة إلى أقوى العقول واسماها تهذيباً، كما بالنسبة إلى أضعف العقول واشدها جهلا فإن ذلك الكائن القدوس يجب ان يظل ملتحقا بالسرية. ولكن مع أن «السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ» فإن «الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّهِ» (مزمور ٩٧: ٢). فيمكننا حتى الآن إن ندرك معاملته معنا بحيث نفهم الرحمة غير المحدودة متحدة ومرتبطة بالقوة السرمدية. ونستطيع

أن نفهم من مقاصده قدر ما نستطيع أن نستوعبه. وأبعد من هذا يمكننا أن نظل واثقين بتلك اليد القادرة على كل شيء والقلب المفعم بالمحبة» (روح النبوة، التربية الحقيقية، صفحة ١٩٩).

أسئلة للنقاش

١. يعلّم بعض المسيحيين بأنّه حتّى قبل أن نولد، فقد اختار الله البعض ليخلصوا والبعض الآخر للهلاك. وهكذا، فإنه لو كان قد قُدِّر لك أن تكون واحداً ممّن حُكم عليهم بالهلاك، فإنه مهما كانت اختيارك، فأنت مقضيّ عليك بالفناء الذي يعتقد الكثيرون أنه نار جهنم المتقدة إلى ما لا نهاية. وبعبارة أخرى، يعتقد هؤلاء أنّ الأمر لا يتوقف على اختيارنا الشخصي. وهم يرون أن العِنَايَة الإلَهِيّة هي التي تقرر أنّ يعيش البعض بدون أن تكون لهم علاقة خلاص مع يسوع هنا في هذه الحياة، ثم يقضون الحياة الآتية يحترقون إلى الأبد في نيران جهنّم المتأججة. ما هو الخطأ في هذه الصورة؟ وكيف تتعارض هذه النظرة مع مفهومنا لنفس هذه الأمور؟

٢. كيف تنظر إلى كنيسة الأدفنتست السبتيين ودعوتها الكرازية العالميّة اليوم مقارنةً بدور إسرائيل القديمة في أيامها؟ ما هي أوجه الشبه وأوجه الاختلاف؟ بأية طرق نحن أفضل منهم أداءً؟ أَمْ هل نحن أسوأ منهم أداءً؟ علّل إجابتك؟